**(مادة الفكر الاجتماعي )**

**القسم / فرع الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع**

**المرحلة / الثالثة**

**الفرع / علم الاجتماع**

**مدخل لدراسة الفكر الاجتماعي**

**البدايات**

لعل ابرز خواص الانسان باعتباره كائناً حياً، انه كائن يفكر بشكل مستمر وهذه الخاصية هي التي تميزه عن الكائنات الحية الاخرى، وتبدا رحلة هذا التفكير مع بداية الخليقة، فقد عاش الانسان بيئة مادية واجتماعية وتأمل فيهما وخرج بافكار ساعدته على التكيف مع ظروف البيئة المادية ، سواء كان تكليفا ايجابيا او سلبيا كما ساعدته على التعامل مع ابناء المجتمع الذي يعيشون فيه .

وتحمل الاثار المنقوشة والمكتوبة علامات وعبارات عن حضارة الانسان، واسلوب تفكيره وتعامله مع البيئة التي يعيش فيها وتعامله مع اقرانه ،كذلك حملت هذه الاثار والنقوش رسوما فيها عن نمط المنزل واسلوب المسكن ، وحتى نمط القبر واسلوب بنائه وما انطوى عليه من ادوات وملابس ومقتضيات ، كان الانسان يعتقد في البعث مرة اخرى او الخلود وانه قد يحتاج الى هذه الادوات والملابس وغيرها .

ولا تدلنا الوثائق المكتوبة عن اشكال الفكر الاجتماعي في المجتمع في المراحل التاريخية المبكرة هذا باستثناء حضارات معينة مثل حضارات الشرق القديم سواء في مصر او الهند او الصين، وما تلاها عند الاغريق والرومان واليونان وغيرها . لكن قبل هذه الحضارات التي توافرت لدينا معلومات موثقة عنها ، لا توجد لدينا معلومات يمكن الاعتماد عليها في استخلاص ملامح التفكير الاجتماعي في هذه المجتمعات .

والسؤال الذي يواجهنا دائما . ماذا نستفيد من دراسة الفكر الاجتماعي في مراحله المبكرة ..؟ الا يكفي ان ندرس المجتمعات على وضعها الراهن وصورتها الواقعية الحالية ..؟ والاجابة على ذلك تتمثل في القول بان المجتمعات وليدة تاريخها . وان الفكر الانساني سلسلة مترابطة الحلقات تقضي كل حلقة للتي تليها . ففهم ظاهرة اجتماعية معينة لايتسنى الا اذا تتبعنا جذورها الاولى .

كيف نشأت كيف تطورت واذا كانت قد نشأت في ظل ظروف مادية وانسانية معينة ، فهل هذه الظروف لا تزال قائمة حتى الان بما يتطلب استمرار هذه الظاهرة او الاخذ بهذه الفكرة ام ان الظروف المادية ، الاجتماعية قد تغيرت بشكل يفرض على الفكر الانساني ان يمعن النظر في تغيير مساره ، او تعديل اتجاهه ؟ او اضافة افكار جديدة تسهم في إثراء التراث الفكري الاجتماعي واعادة تكييفه مع الظروف المتغيرة .

ان دراسة الفكرالاجتماعي تشكل قطاعات ما بين الدراسات الاجتماعية ، فهي تتضمن الجذور المبكرة لدراسة النظرية الاجتماعية واتجاهاتها المختلفة ومدى ملاءمتها للواقع الانساني ، معنى ذلك ان دراسة الفكر الاجتماعي تقدم اللبنة الاولى لإضفاء العلمية على دراسات علم الاجتماع ، ومن هنا ينبغي ان تكون هذه الدراسة تكاملية بالدرجة الاولى ، بحيث تكون جامعة لكل عناصر وتطورات الفكر الاجتماعي وبالتالي فانها تستعين بالرؤية التاريخية في عرض تسلسل هذا الفكر وتطوره عبر القرون مع انها ليست دراسة تاريخية بمفهوم علم التاريخ ولكنها تستفيد من مناهجه ومعطياته المتصلة بالفكر الاجتماعي .

ولا يمكن لمن يتخصص في علم الاجتماع ان يتغاضى عن دراسة تاريخ الفكر الاجتماعي، وكذلك الحال بالنسبة للذين يتخصصون في فروع اخرى من فروع العلم الاجتماعي ذلك ان تاريخ الفكر يعني بل ويتضمن المحاولات التي بذلت على امتداد الزمن لتسجيل حركة المجتمع الى ان الانسان قد تفوق في فهمه لبعض الظواهر الطبيعية على فهمه للظواهر الاجتماعية ومغزاها وابعادها، ذلك ان الطبيعة كانت هي السياج المحيط بالانسان منذ نشأته الاولى، والتي مثلت تحدياً لحياة الانسان واستقراره ومن هنا فقد استطاع الانسان تطوير معرفته بالظواهر الطبيعية اكثر مما يفعل في مجال الظواهر الاجتماعية ، وقد لفت هذا التطور نظر الانسان ومثل امامه نموذجا عندما يحاول فهم الحياة الاجتماعية والكشف عن ترابطاتها وتداخلاتها ، هذا فضلا عن ان التصورات الفلسفية والميتافيزيقية قد سيطرت على الفكر الانساني في فترة طويلة ، فكان تسجيل الانطباعات الشخصية والتفسيرات الغيبية هو الامر السائد في المراحل الاولى للفكر الاجتماعي ، ولم يكن المفكرون في البداية يعتقدون في امكان تطبيق المناهج العلمية على شؤون الحياة الاجتماعية او ان هناك قوانين اجتماعية متشابهه للقوانين للقوانين الطبيعية يمكن ان تفسر هذه الظواهر.

ان دراسة الفكر الاجتماعي لا تكون جديرة بالتقدير الا اذا كانت تكاملية وتتناول كل جوانب الحياة الاجتماعية ومن هنا يمكن تصور ان العلوم الاجتماعية المعروفة حديثا قد نشأت كلها نشأة واحدة في اطار الواقع الاجتماعي الشامل والمركب ، وبعد فترة من الزمن بدأت هذه العلوم تنفصل عن بعضها او عن اساسها الاول، فاستقل كل علم بدراسة قطاع معين من قطاعات الحياة الاجتماعية ، وتخصص في هذا القطاع علماء وباحثون منحوه كل جهدهم وتركيزهم ، ومع كل هذا فنحن نلاحظ حاليا ميلا عاما الى العودة الى التداخل والتعاون المتبادل واعمال فكرة تعدد النظم العلمية في مجال العلوم الاجتماعية ، حيث اقتنع العلماء مرة اخرى انه لفهم الكل الاجتماعي المركب والمعقد لابد من مدخل تكاملي متعدد الابعاد يغطي اهداف هذه الدراسة المرجوة فادركوا ان التخصص الضيق غالبا ما يكون عاى حساب الفهم الشامل والمركز للمجتمع الانساني .

وتنبغي الاشارة الى اتجاه هام ظهر في مسيرة التفكير الاجتماعي وهو ما عرف بالفلسفة الاجتماعية او فلسفة التاريخ وقد ظهرت الفلسفة الاجتماعية اول ما ظهرت باليونان وازدهرت في الفترات السابقة على مولد علم الاجتماع كعلم مستقل ، ومع ان الفلسفة الاجتماعية كانت قريبة من علم الاجتماع الا ان الاختلاف بينهما ينصب على مستويات التجريد والضوابط المنهجية ، فكل من علم الاجتماع والفلسفة يتجه لوصف الوقائع وتفسيره . وملاحظة الوقائع والتعميم على اساسها والاختلاف يقوم على اساس ان علم الاجتماع يستمد تعميماته من الوقائع التي تمت ملاحظتها ولا ياخذ باي نوع من التعميم الا اذا قام على هذا الاساس ، ولكن الفلسفة تتجه لفهم الحقيقة الكلية من خلال ملاحظة الفيلسوف لمجموعة من الوقائع لاستخلاص المبادئ العامة والقيم النهائية لتفسير الحقيقة ككل وبالتالي نرى ان الفيلسوف الاجتماعي يفسر ظواهر المجتمع من خلال هذه المبادئ النهائية ، فيتحدث عن العلل الاولى والقيم المطلقة والغايات النهائية وحينما تطورت مناهج العلوم الطبيعية والانسانية اصبح هذا النوع من التفسير غير ملائم فلابد من التجريب واستخدام الضوابط المنهجية التي تساعد على استخلاص الوقائع الجزئية وجمعها في اطار عام متناسق والسعي لصياغة قوانين وقواعد اجتماعية يمكن التاكد من صدقها بالعودة للواقع ، وجمع شواهد اضافية تدعمها وتؤكدها ومن هنا يبدو الاختلاف بين الفلسفة الاجتماعية وعلم الاجتماع ، فعلى الرغم من الاهتمام بمجال واحد ، الا ان اسلوب التفسير والتجريد والتعميم يختلف في كل منهما عن الاخر.